

بول بوت حين يتيه الإنسان عن نور السماء

سيرة الطغيان وجرائم الإبادة في كمبوديا

تأليف

الدكتور محمد كمال عرفه الرخاوي

الباحث والمستشار والخبير والفقير والمؤلف القانوني  
والمحاضر الدولي في القانون

إهداء

إلى أرواح الضحايا الأبرياء الذين راحوا ضحية الطغيان  
والإلحاد السياسي

وإلى كل من يسعى للحقيقة والعدالة في عالم يضيع

فيه الحق أحياناً

وإلى كل قلب مؤمن يبحث عن نور الهداية في ظلمات الضلال

فهرس المحتويات

المقدمة العامة

الفصل الأول: مولد سالوت سار في قرية برياك سباوف

الفصل الثاني: الطفولة المبكرة في كنف العائلة البوذية

الفصل الثالث: الحياة في الدير البوذي وتعلم القيم الأولى

الفصل الرابع: الانتقال إلى بنوم بنه وبداية الوعي الاجتماعي

الفصل الخامس: التعليم في مدرسة سيسواث  
والتعرف على التناقضات

الفصل السادس: الحصول على منحة الدراسة في  
فرنسا

الفصل السابع: باريس عاصمة الأفكار والثورات

الفصل الثامن: الانخراط في الدوائر الطلابية اليسارية

الفصل التاسع: دراسة أعمال ماركس ولينين وماو

الفصل العاشر: التحول الفكري ورفض الدين التقليدي

الفصل الحادي عشر: تكوين العلاقات مع الرفاق  
الكمبوديين في باريس

الفصل الثاني عشر: العودة إلى كمبوديا بخلفية ثورية  
جديدة

الفصل الثالث عشر: العمل كمدرس وغطاء للنشاط

السري

الفصل الرابع عشر: تأسيس الخلايا الشيوعية الأولى  
في الريف

الفصل الخامس عشر: تأسيس الحزب الشيوعي  
الكمبودي رسمياً

الفصل السادس عشر: صعود بول بوت لقيادة الحزب  
وسرية هويته

الفصل السابع عشر: الحياة في الغابة وبناء القاعدة  
الشعبية

الفصل الثامن عشر: تطوير الأيديولوجية الماوية  
الكمبودية

الفصل التاسع عشر: الاستفادة من الحرب الأمريكية  
في فيتنام

الفصل العشرون: توسيع نفوذ الخمير الحمر في

المناطق الريفية

الفصل الحادي والعشرون: التحالفات الإقليمية  
والتدخلات الخارجية

الفصل الثاني والعشرون: تصاعد الحرب الأهلية  
وسقوط لون نول

الفصل الثالث والعشرون: دخول بنوم بنه في السابع  
عشر من أبريل

الفصل الرابع والعشرون: الإخلاء القسري للمدن وبداية  
المأساة

الفصل الخامس والعشرون: إعلان كمبوتشيا  
الديمقراطية وسنة الصفر

الفصل السادس والعشرون: إلغاء العملة والأسواق  
والملكية الخاصة

الفصل السابع والعشرون: تفكيك الأسرة التقليدية

## وتربية الأطفال جماعياً

الفصل الثامن والعشرون: النظام الزراعي القسري  
والعمل من الفجر للغسق

الفصل التاسع والعشرون: حصص الإنتاج المستحيلة  
والعقاب الجماعي

الفصل الثلاثون: المجاعة المصطنعة وموت مئات الآلاف  
جوعاً

الفصل الحادي والثلاثون: الحملة المنظمة ضد البوذية  
وإغلاق المعابد

الفصل الثاني والثلاثون: اضطهاد الرهبان وإجبارهم  
على العمل القسري

الفصل الثالث والثلاثون: الإبادة الممنهجة لأقلية الشام  
المسلمة

الفصل الرابع والثلاثون: استهداف الكمبوديين من أصل

## فيتنامي وصيني

الفصل الخامس والثلاثون: حظر جميع الممارسات الدينية وحرق الكتب المقدسة

الفصل السادس والثلاثون: إنشاء شبكة المراقبة والمخبرين في كل قرية

الفصل السابع والثلاثون: سجن تول سلينغ إس واحد وعشرون وجحيم التعذيب

الفصل الثامن والثلاثون: طرق التعذيب الوحشية وانتزاع الاعترافات الكاذبة

الفصل التاسع والثلاثون: ميادين القتل والإعدامات الجماعية في الريف

الفصل الأربعون: الخاتمة حين يتيه الإنسان عن نور السماء

## المقدمة العامة

في عالم تتصارع فيه الأفكار وتتشابك فيه المصالح، تبرز قصة بول بوت كجرس إنذار يدق في آذان البشرية جمعاء. إنها ليست مجرد سيرة لرجل واحد، بل هي دراسة عميقة لكيفية تحول الأيديولوجيات المتطرفة التي ترفض القيم السماوية والأخلاق الدينية إلى آلات للدمار والخراب. هذا الكتاب لا يسرد فقط وقائع الإبادة الجماعية التي شهدتها كمبوديا، بل يغوص في الجذور الفكرية التي سمحت لفكرة سنة الصفر بالظهور والانتشار. نهدف من خلال هذه الصفحات إلى توضيح أن الابتعاد عن منهج الله العادل القهار، واستبدال الدين بأيديولوجيات بشرية تدعي الكمال المطلق، قد يقود المجتمعات إلى هاوية لا قاع لها. إن معاناة الملايين تحت حكم الخمير الحمر تذكرنا بأن الدين القويم هو الحامي الوحيد لكرامة الإنسان وحقوقه، وأن العدالة الحقيقية لا تتحقق إلا تحت مظلة شرع السماء. لقد اخترنا أن نبدأ هذه الرحلة من لحظة ميلاد سالوت سار، لنرى كيف تحول طفل نشأ في أحضان البوذية إلى طاغية سفك دماء شعبه باسم أيديولوجية

إلحادية متطرفة. إن الدروس المستفادة من هذه القصة ليست تاريخية فحسب، بل هي دروس أخلاقية ودينية تهتم كل إنسان يسعى لفهم طبيعة الشر وكيفية مقاومته. فالله سبحانه وتعالى جعل في الدين عصمة للدماء، ومن أعرض عن هديه ضل وهوى، وهذه القصة شاهد صدق على تلك الحقيقة الأزلية.

## الفصل الأول: مولد سالوت سار في قرية بريك سباوف

وُلد الرجل الذي سيُعرف لاحقاً باسم بول بوت في قرية بريك سباوف الواقعة في محافظة كامبونغ توم في مملكة كمبوديا، وذلك في التاسع عشر من مايو عام ألف وتسعمائة وخمسة وعشرين، وفقاً لأغلب المصادر التاريخية الموثقة والمعتمدة من الباحثين المتخصصين في تاريخ جنوب شرق آسيا. كان اسمه الأصلي سالوت سار، وهو اسم يحمل دلالات روحية في الثقافة الخميرية، حيث يعكس التمسك بالقيم التقليدية والدينية السائدة في المجتمع. نشأ سالوت سار في عائلة ميسورة الحال تعمل في الزراعة

وتتمتع باحترام وتقدير في مجتمعها المحلي، حيث كان والده يملك مساحات من الأراضي الزراعية ويدير أعمالاً تجارية صغيرة تدر عليه دخلاً معقولاً. كانت كمبوديا في تلك الفترة خاضعة للاستعمار الفرنسي، مما أضاف بُعداً آخر لتشكّل وعي الجيل الذي نشأ فيه سالوت سار، حيث كان الاستعمار يمارس سياسات تفضيلية لبعض الفئات على حساب أخرى. تلقت العائلة تعاليم البوذية التراثية، وهي الديانة السائدة في البلاد منذ قرون، وقد انعكس هذا على تربية الأطفال الذين نشأوا في ظل قيم الرحمة والتسامح واللاعنف التي تنادي بها هذه الديانة العريقة. كان سالوت سار طفلاً ذكياً ونشيطاً، وقد لاحظ أهله ومعلموه قدرته على التعلم بسرعة واستيعاب الدروس الدينية والدينيوية على حد سواء، مما دفعهم لاتخاذ قرار مهم في حياته المبكرة بإرساله إلى الدير لتلقي تعليم أكثر عمقاً.

الفصل الثاني: الطفولة المبكرة في كنف العائلة البوذية

قضى سالوت سار سنواته الأولى في كنف عائلته الممتدة، حيث عاش في بيئة تجمع بين التقاليد الريفية البسيطة والقيم الدينية الراسخة. كانت الأسرة تجتمع يومياً لأداء الطقوس البوذية، من تقديم القرابين للرهبان إلى الاستماع لتلاوة النصوص المقدسة في المناسبات الدينية. تعلم الطفل الصغير مبادئ اللطف والاحترام للكبار، والعطف على الضعفاء، والصبر في مواجهة الشدائد، وهي قيم شكلت أساس شخصيته في تلك المرحلة المبكرة من حياته. كان الأب يحث أبناءه على طلب العلم، معتبراً إياه وسيلة للارتقاء الاجتماعي والروحي معاً، بينما كانت الأم تغرس فيهم قيم التراحم والعائلة الممتدة. في الأعياد البوذية، كان الأطفال يشاركون في الاحتفالات المحلية، حيث يتعلمون من خلال الممارسة العملية معاني التضحية والعطاء والتواضع. هذه البيئة الأسرية الدافئة، رغم بساطتها، وفرت لسالوت سار شعوراً بالأمان والانتماء، وشكلت مرجعيته الأخلاقية الأولى قبل أن تتعرض لاحقاً لتحولات جذرية. لكن الرياح كانت تتغير في المنطقة، حيث كانت الأفكار القومية والشيوعية تبدأ في التسرب إلى المجتمعات التقليدية عبر الطلاب العائدين من أوروبا والهند الصينية الفرنسية.

## الفصل الثالث: الحياة في الدير البوذي وتعلم القيم الأولى

في سن مبكرة لم يتجاوز الثامنة من عمره، أُرسِلَ سالوت سار للعيش في أحد الأديرة البوذية في بنوم بنه، وهي ممارسة شائعة ومحبة في الثقافة الكمبودية لتعليم الأولاد القراءة والكتابة والقيم الأخلاقية والروحية. قضى عدة سنوات في هذا الدير، حيث تعلم اللغة الخميرية بفصاحتها وبلاغتها، والفن البوذي بتفاصيله الدقيقة، والتاريخ المحلي بأمثاله وحكمه، بالإضافة إلى مبادئ التأمل والانضباط الذاتي التي تميز الحياة الرهبانية. كان الرهبان المعلمون يعلمون الطلاب أن الحياة الدنيا زائلة وفانية، وأن الرحمة بالخلق من أعظم القربات إلى الله حسب معتقدهم، وأن كل فعل يعود على صاحبه بالخير أو الشر حسب قانون الكارما. هذه الفترة من حياة سالوت سار شكلت جزءاً أساسياً ومهماً من شخصيته، حيث اكتسب مهارات التنظيم والصبر

والقدرة على التأثير في الآخرين من خلال الكلمة الهادئة والمثال الحي. تعلم أيضاً فن الخطابة والإقناع، وكيفية إدارة النقاشات الهادئة، وهي مهارات سيستخدمها لاحقاً لأغراض مختلفة تماماً عما تعلمها في الدير. ومع ذلك، فإن التحولات الكبرى التي كانت تحدث في العالم آنذاك، من حروب عالمية وصراعات أيديولوجية عنيفة، بدأت تصل أصدائها إلى هذا الدير الهادئ، مما زرع بذور الفضول السياسي والسؤال عن العدالة في نفس الشاب الصغير.

## الفصل الرابع: الانتقال إلى بنوم بنه وبداية الوعي الاجتماعي

بعد انتهاء فترة إقامته في الدير وعمره يقارب الرابعة عشرة، عاد سالوت سار إلى الحياة المدنية وانتقل إلى العاصمة بنوم بنه لمواصلة تعليمه في مدرسة سيسواث الملكية، وهي واحدة من أرقى المؤسسات التعليمية في البلاد في ذلك الوقت والتي تخرج منها العديد من النخب الكمبودية. كانت بنوم بنه في تلك

الفترة مدينة تعج بالتناقضات الصارخة، حيث يتعايش  
الفقر المدقع الذي يعاني منه معظم السكان مع ثراء  
النخبة الحاكمة والمتعاونة مع المستعمر، والتقاليد  
العريقة التي تمسك بها كبار السن مع الحداثة الوافدة  
التي يحملها الشباب المتعلم مع المستعمر  
الفرنسي. بدأ سالوت سار يلاحظ الفوارق الطبقيّة  
الحادة في مجتمعه بشكل لم يكن واضحاً له في  
قريته الريفية، وشعر بعدم عدالة النظام القائم الذي  
يفضل بعض الفئات على أخرى بسبب الولاء  
السياسي أو القرابة أو الرشوة. في المدرسة، تفوق  
في مواد مثل التاريخ والجغرافيا والأدب، وبدأ يطور وعياً  
نقدياً تجاه الوضع السياسي والاجتماعي في بلاده،  
متسائلاً عن أسباب الفقر والجهل والتبعية التي  
تعاني منها كمبوديا رغم مواردها الطبيعية والبشرية.  
كانت هذه المرحلة حاسمة في تشكيل نظرتة للعالم،  
حيث بدأ يبحث عن إجابات للأسئلة التي أثارته  
مشاهد الظلم التي كان يشاهدها يومياً في شوارع  
العاصمة، من متسولين وأطفال يعملون في ظروف  
قاسية بينما يعيش الآخرون في رفاهية.

## الفصل الخامس: التعليم في مدرسة سيسواث والتعرف على التناقضات

خلال سنوات دراسته في مدرسة سيسواث، تعرض سالوت سار لمناهج تعليمية تجمع بين التراث الكمبودي والقيم الغربية التي جلبها المستعمر الفرنسي. تعلم اللغة الفرنسية بطلاقة، مما فتح له أبواباً للقراءة في الأدب والفكر الأوروبي، وبدأ يكتشف عالماً جديداً من الأفكار التي تتحدى التقاليد التي نشأ عليها. في الفصول الدراسية، كان يناقش زملاءه بحماس حول قضايا العدالة الاجتماعية والاستقلال الوطني والتحديث، مما لفت انتباه بعض المعلمين الذين شجعوه على مواصلة البحث والقراءة. لكن في الوقت نفسه، كان يرى كيف أن التعليم نفسه كان أداة في يد النخبة للحفاظ على امتيازاتها، حيث كان الوصول إلى التعليم الجيد مقتصراً على أبناء الأثرياء والمتعاونين مع الفرنسيين. هذه التناقضات بين المثالي العليا التي يدرسها والواقع المرير الذي يعيشه بدأ تخلق في داخله شعوراً بالإحباط والغضب، وشعوراً بالحاجة إلى تغيير جذري للنظام القائم. بدأ يقرأ في

الخفاء بعض الكتب السياسية التي كانت ممنوعة، والتي تتحدث عن الاشتراكية والقومية ومقاومة الاستعمار، مما وسع آفاقه الفكرية وبدأ يحول اهتمامه من الدراسة الأكاديمية البحتة إلى العمل السياسي.

## الفصل السادس: الحصول على منحة الدراسة في فرنسا

في عام ألف وتسعمائة وتسعة وأربعين، وبعد تميزه الأكاديمي في المدرسة، حصل سالوت سار على منحة دراسية نادرة للسفر إلى باريس لدراسة الهندسة الإلكترونية، وهي فرصة كانت تحلم بها أي عائلة كمبودية في ذلك الوقت لأبنائها. كانت هذه المنحة جزءاً من سياسة فرنسية تهدف إلى تكوين نخبة محلية موالية للاستعمار، لكنها في حالة سالوت سار جاءت بنتائج عكسية تماماً عما كان مخططاً له. قبل السفر، قضى بضعة أشهر في فيتنام لتحسين لغته الفرنسية والتعرف على الحركة القومية في الهند الصينية، حيث التقى ببعض الناشطين الذين أثروا في

تفكيره السياسي. كان الشعور مختلطاً في لحظة المغادرة، بين الفرح بفرصة التعلم في عاصمة العالم الثقافي آنذاك، والقلق على بلاده التي كانت تمر بمرحلة حرجة من نضالها من أجل الاستقلال. ودع عائلته وأصدقاءه بوعد بالعودة لخدمة بلاده، دون أن يدري أن العودة ستكون مختلفة تماماً عما تصور، وأن باريس ستغير مسار حياته ومسار تاريخ كمبوديا إلى الأبد.

## الفصل السابع: باريس عاصمة الأفكار والثورات

وصل سالوت سار إلى باريس في خريف عام ألف وتسعمائة وتسعة وأربعين، ليجد مدينة تعج بالحياة الفكرية والسياسية الصاخبة. كانت باريس في تلك الفترة مركزاً عالمياً للحركات الفكرية والسياسية، حيث تتصارع الماركسية والوجودية والقوميات المختلفة والليبرالية على عقول الشباب القادمين من كل أنحاء العالم. تردد على المكتبات الكبرى مثل المكتبة الوطنية، وغرف القراءة في السوربون، والمقاهي

الشهيرة في الحي اللاتيني حيث يلتقي المفكرون والكتاب والناشطون السياسيون. بدأ يحضر المحاضرات العامة والندوات السياسية، ويشارك في النقاشات الحادة حول مستقبل العالم بعد الحرب العالمية الثانية، وحول مصير المستعمرات، وحول نماذج التنمية والتحديث. كان ينبهر بخطب الزعماء اليساريين، ويقرأ بشغف الصحف والمجلات السياسية، ويكتشف عالماً من الأفكار التي تعد بعالم جديد خالٍ من الظلم والاستغلال. لكن باريس كانت أيضاً مدينة التناقضات، حيث يتعايش الغنى الفاحش مع الفقر المدقع، والحرية الفكرية مع القمع السياسي في بعض القضايا، مما جعله يدرك أن لا نموذج مثالي يمكن استيراده جاهزاً، بل يجب تكييف الأفكار مع واقع كل بلد.

## الفصل الثامن: الانخراط في الدوائر الطلابية اليسارية

في باريس، انخرط سالوت سار بسرعة في الدوائر الطلابية اليسارية، وخاصة تلك التي تضم طلاباً من المستعمرات الفرنسية في آسيا وأفريقيا الذين

يتشاركون نفس الهموم والتطلعات. تعرف على مجموعة من الطلاب الكمبوديين والفيتناميين واللاوسيين الذين كانوا يناقشون سبل تحرير بلدانهم من الاستعمار وبناء مجتمعات عادلة بعد الاستقلال. انضم إلى خلية طلابية شيوعية سرية، حيث بدأ يدرس بعمق أكبر الأعمال الكلاسيكية للماركسية، ويحلل التطبيقات المختلفة للثورة في روسيا والصين ودول أخرى. في هذه الدوائر، تعلم فنون التنظيم السري، وآليات التعبئة السياسية، وكيفية صياغة الخطابات الثورية التي تخاطب الجماهير. بدأ أيضاً يطور شبكة علاقات شخصية وسياسية ستلعب دوراً حاسماً في مستقبله، حيث تعرف على إينغ ساري الذي سيصبح صهره وأحد أقرب مساعديه، وخبو سامفان الذي سيصبح رئيساً للدولة في نظام الخمير الحمر. كانت هذه الفترة من حياته حافلة بالنقاشات الحادة والتجارب الفكرية، حيث كان يتبنى الأفكار الأكثر راديكالية تدريجياً، مقتنعاً بأن التغيير الحقيقي يتطلب ثورة شاملة وليس إصلاحات جزئية.

الفصل التاسع: دراسة أعمال ماركس ولينين وماو

كرس سالوت سار سنواته في باريس لدراسة معمقة للأعمال التأسيسية للماركسية اللينينية، بدءاً من البيان الشيوعي لماركس وإنجلز، مروراً بماذا يجب أن نفعل للينين، وصولاً إلى كتابات ماو تسي تونغ عن الثورة الزراعية. كان يقرأ هذه النصوص بنهم، ويحللها، ويناقشها مع رفاقه، محاولاً استخلاص الدروس التي يمكن تطبيقها على الواقع الكمبودي. تأثر بشكل خاص بفكرة ماو عن الثورة الزراعية التي تقودها الفلاحين، حيث رأى فيها نموذجاً مناسباً لكمبوديا التي كان معظم سكانها من الفلاحين الفقراء. بدأ ينظر إلى التاريخ من خلال عدسة الصراع الطبقي، حيث يرى أن كل مرحلة تاريخية هي نتاج صراع بين طبقة مضطهدة وأخرى مضطهدة، وأن التقدم لا يتحقق إلا بثورة تطيح بالطبقة الحاكمة. هذه القراءة الأيديولوجية للتاريخ بدأت تشكل نظرتة للعالم بشكل متزايد، حيث بدأ يرى في البوذية والتقاليد الكمبودية جزءاً من البنية الفوقية التي تخدم الطبقة الحاكمة، وليست قيماً روحية مستقلة. بدأ أيضاً يتبنى فكرة أن الوسيلة تبرر الغاية، وأن العنف الثوري ضروري ومبرر لتحقيق العدالة

الاجتماعية، وهي فكرة ستصبح لاحقاً مبرراً لفظائه.

## الفصل العاشر: التحول الفكري ورفض الدين التقليدي

خلال سنواته في باريس، بدأ سالوت سار يتبنى موقفاً نقدياً متزايداً تجاه الدين، وخاصة البوذية التي نشأ عليها، والتي بدأ ينظر إليها على أنها أداة في يد الطبقة الحاكمة لتخدير الجماهير ومنعها من المطالبة بحقوقها. استند في هذا التحول إلى قراءة انتقائية لأعمال ماركس التي تصف الدين بأنه أفيون الشعوب، دون أن يأخذ في الاعتبار الأبعاد الروحية والأخلاقية والإنسانية التي تقدمها الأديان للمجتمعات. بدأ يرفض ليس فقط الممارسات الدينية التقليدية، بل أيضاً القيم المرتبطة بها مثل التسامح والرحمة والتواضع والصبر، معتبراً إياها قيماً سلبية تعيق النضال الثوري. بدلاً من ذلك، اعتنق مفاهيم مثل الصراع الطبقي والثورة المسلحة والديكتاتورية البروليتارية كوسائل ضرورية وحتمية لتحقيق العدالة الاجتماعية الموعودة. هذا الانزياح عن جذوره الدينية والبوذية كان نقطة تحول

حاسمة في مسار حياته، حيث فصل نفسه روحياً وأخلاقياً عن المرجعية التي شكلت شخصيته الأولى، وفتح الباب أمام تبني أيديولوجية لا تعترف بأي قداسة إلا قداسة الثورة والحزب.

## الفصل الحادي عشر: تكوين العلاقات مع الرفاق الكمبوديين في باريس

في باريس، لم يكتف سالوت سار بالدراسة النظرية، بل كرس جهداً كبيراً لبناء شبكة علاقات مع الرفاق الكمبوديين الذين شاركوه التوجهات الثورية. كان يلتقي بهم بانتظام في شقق صغيرة ومقاهي هادئة، حيث يخططون للمستقبل ويناقشون الاستراتيجيات الممكنة لتحرير كمبوديا. من بين هؤلاء الرفاق كان إينغ ساري، الذي تزوج لاحقاً من شقيقة سالوت سار وأصبح أحد أعمدة نظام الخمير الحمر، وخيو سامفان الذي أصبح المنظر الرئيسي للحركة، وسون سين الذي لعب دوراً مهماً في الدعاية والإعلام. تعلموا معاً فنون العمل السري، وكيفية تجنب مراقبة الشرطة الفرنسية،

وكيفية نقل الأفكار الثورية إلى الوطن دون كشف الهوية. طوروا أيضاً لغة رمزية وشفرات للتواصل، وعلاقات ثقة متبادلة ستثبت أهميتها الحاسمة في السنوات الصعبة القادمة. كانت هذه المجموعة النواة التي ستقود لاحقاً الحزب الشيوعي الكمبودي، وتتحمل المسؤولية التاريخية عن القرارات التي ستؤدي إلى واحدة من أسوأ الكوارث الإنسانية في القرن العشرين.

## الفصل الثاني عشر: العودة إلى كمبوديا بخلفية ثورية جديدة

في عام ألف وتسعمائة وثلاثة وخمسين، عاد سالوت سار إلى كمبوديا بعد فشل دراساته في باريس، حيث لم يحصل على الشهادة الجامعية لأسباب غير واضحة تماماً، ربما بسبب انشغاله بالنشاط السياسي على حساب الدراسة. لكنّه عاد بحماسة ثورية جديدة، وبخلفية فكرية متطورة، وعلاقات سياسية ستثبت قيمتها في المستقبل. وجد بلاده في حالة من

الاضطراب السياسي، حيث كان الأمير نورودوم سيهانوك يحاول الموازنة بين القوى المختلفة للحفاظ على استقلال البلاد الذي تم الإعلان عنه حديثاً. انضم سالوت سار فور عودته إلى حركة سرية تهدف إلى نشر الأفكار الشيوعية بين الفلاحين والعمال، الذين يشكلون الأغلبية الساحقة من السكان والذين كانوا يعانون من الفقر والجهل والاستغلال. بدأ يعمل كمدرس في مدرسة خاصة في بنوم بنه، وهي وظيفة وفرت له غطاءً مثاليًا لنشاطه السياسي السري، حيث كان يتنقل بين الطلاب وأولياء أمورهم لنشر الأفكار الثورية تحت غطاء التعليم. هذه الفترة من حياته كانت مليئة بالمخاطرة، حيث كان النظام يراقب النشاطات الشيوعية بقلق متزايد، وكان أي كشف لهوية الناشطين يعني الاعتقال والتعذيب وربما الإعدام.

الفصل الثالث عشر: العمل كمدرس وغطاء للنشاط السري

خلال عمله كمدرس في مدرسة خاصة في بنوم بنه،  
طور سالوت سار أسلوباً متميزاً في الجمع بين  
التعليم الرسمي والتلقين السياسي غير المباشر.  
في الفصول الدراسية، كان يعلم الطلاب التاريخ  
والجغرافيا والرياضيات وفق المناهج الرسمية، لكن في  
النقاشات الجانبية واللقاءات الخاصة، كان يفرس في  
عقول الشباب أفكار الثورة والتغيير الجذري. كان يختار  
الطلاب الأكثر ذكاءً وتأثراً، ويدعوهم لاجتماعات سرية  
خارج المدرسة، حيث يقدم لهم قراءات مختارة ويناقش  
معهم قضايا العدالة الاجتماعية والاستقلال الحقيقي.  
طور أيضاً شبكة من المعلمين المتعاطفين مع القضية،  
الذين ساعدوه في توسيع نطاق التأثير وتجنيد أعضاء  
جدد للحركة. في الوقت نفسه، كان حريصاً على عدم  
لفت الانتباه، حيث كان يتجنب الخطابة العلنية أو  
الكتابة تحت اسمه الحقيقي، مستخدماً أسماء  
مستعارة ورموزاً للتواصل. هذه الفترة من حياته علمته  
الصبر والتخطيط طويل المدى، وأكسبته مهارات في  
التنظيم والتعبئة ستثبت أهميتها الحاسمة عندما تتاح  
له الفرصة لتطبيق أفكاره على مستوى الدولة.

## الفصل الرابع عشر: تأسيس الخلايا الشيوعية الأولى في الريف

مع تصاعد القمع الحكومي ضد النشاطات اليسارية في المدن، قرر سالوت سار ورفاقه نقل مركز ثقلهم إلى المناطق الريفية، حيث كان السخط الشعبي ضد النظام في ازدياد بسبب الفقر والضرائب الباهظة والفساد. بدأوا في تنظيم رحلات منتظمة إلى القرى النائية، حيث يلتقون بالفلاحين، ويستمعون إلى مشاكلهم، ويقدمون لهم تفسيرات بسيطة للأيدولوجيا الشيوعية تربط بين معاناتهم اليومية والنظام السياسي القائم. طوروا أسلوباً في الخطاب يجمع بين اللغة البسيطة التي يفهمها الفلاحون، والرموز الدينية والتقليدية التي يقدرونها، مع توجيه هذه الرموز لخدمة الهدف الثوري. أسسوا خلايا سرية في عشرات القرى، حيث يدرّبون أعضائها على التنظيم والتعبئة والدفاع عن النفس، ويوفرون لهم مواد دعائية بسيطة مثل المنشورات والصور. كان النجاح في الريف أكبر مما توقعوا، حيث وجد الفلاحون الفقراء في الرسالة الشيوعية أملاً في تحسين أوضاعهم،

ورأوا في المنظمين الجدد مدافعين عن حقوقهم ضد الملاك الكبار والمسؤولين الفاسدين. هذا النجاح في الريف سيكون الأساس الذي ستبنى عليه قوة الخمير الحمر في السنوات اللاحقة.

## الفصل الخامس عشر: تأسيس الحزب الشيوعي الكمبودي رسمياً

في أوائل الستينيات، ومع نضج الظروف الموضوعية والذاتية، بدأ سالوت سار ورفاقه في تنظيم أنفسهم بشكل أكثر منهجية ورسمية، مما أدى إلى الإعلان عن تأسيس الحزب الشيوعي الكمبودي في عام ألف وتسعمائة وستين، وإن كان الإعلان الرسمي تم بشكل سري وفي وقت لاحق. كان الهدف المعلن للحزب هو تحرير كمبوديا من النفوذ الأجنبي وبناء مجتمع اشتراكي عادل، لكن في الواقع، كان الهدف الأعمق هو الاستيلاء على السلطة بالقوة إذا لزم الأمر، وإقامة نظام شمولي يطبق الرؤية الثورية بشكل كامل. تبنى الحزب مبادئ المركزية الديمقراطية، حيث

تكون القرارات ملزمة للجميع بمجرد اتخاذها من قبل القيادة، مما ضمن وحدة الصف وسرعة التنفيذ لكنه قضى على أي مساحة للنقاش الداخلي أو المعارضة. أصبح سالوت سار، الذي اتخذ الآن الاسم الحركي بول بوت، الأمين العام للحزب، مما منحه سلطة مطلقة على توجيه استراتيجيته وتكتيكاته، وهي سلطة سيستخدمها لاحقاً دون أي رادع أخلاقي أو قانوني. تحت قيادته، بدأ الحزب في بناء شبكة من الخلايا السرية في جميع أنحاء البلاد، مع التركيز على المناطق الريفية حيث كان التأثير أكبر والمخاطر أقل.

## الفصل السادس عشر: صعود بول بوت لقيادة الحزب وسرية هويته

مع توليه قيادة الحزب، اتخذ سالوت سار اسم بول بوت كاسم حركي، في خطوة تعكس رغبته في الفصل بين هويته الشخصية ودوره السياسي، وحماية نفسه من الملاحقة الأمنية. أصبح بول بوت شخصية غامضة حتى داخل الحزب، حيث كان قليل الظهور، نادر الكلام،

يفضل العمل من وراء الكواليس وترك الظهور الإعلامي لرفاقه. هذه السرية لم تكن مجرد إجراء أمني، بل كانت أيضاً أسلوباً في الحكم يعزز هيئته ويمنع أي تحدٍ لسلطته، حيث يصبح القائد رمزاً مجرداً لا يمكن نقده أو محاسبته. طور بول بوت أيضاً أسلوباً في القيادة يعتمد على التفويض المطلق للولاء، حيث يكافئ المواليين بكرم ويكافح المشككين بقسوة، مما خلق ثقافة من الخوف والطاعة العمياء داخل الحزب. في الوقت نفسه، كان يكرس جهداً كبيراً لدراسة الواقع الكمبودي وتطوير أيديولوجية تناسب خصوصياته، مقتنعاً أن النماذج الثورية الأخرى لا يمكن نسخها حرفياً بل يجب تكييفها مع الظروف المحلية. هذا المزيج من السرية والصرامة والمرونة الأيديولوجية سيكون من العوامل الرئيسية في صعوده إلى السلطة، وفي الكارثة التي ستلي ذلك.

الفصل السابع عشر: الحياة في الغابة وبناء القاعدة الشعبية

مع تصاعد القمع الحكومي ضد الشيوعيين في منتصف الستينيات، اضطر بول بوت وقيادات الحزب إلى الفرار إلى المناطق النائية والغابات على طول الحدود مع فيتنام، حيث أسسوا قواعد خلفية آمنة للتخطيط والتدريب. كانت الحياة في الغابة قاسية ومحفوفة بالمخاطر، من نقص الغذاء والدواء إلى خطر الكمائن والهجمات الحكومية، لكنها وفرت لهم ملاذاً آمناً بعيداً عن عيون الأمن. قضا سنوات في بناء علاقات مع القبائل المحلية والفلاحين في المناطق الحدودية، مستخدمين خطاباً يجمع بين الدفاع عن الأرض والكرامة الوطنية والوعود بتحسين الحياة بعد الثورة. طور بول بوت في هذه الفترة أيديولوجية فريدة تمزج بين الماركسية اللينينية والتقاليد الزراعية الكمبودية، داعياً إلى العودة إلى مجتمع زراعي بسيط خالٍ من تعقيدات الحياة الحضرية التي يراها فاسدة ومستوردة. كان يؤمن بأن الفلاحين، وليس العمال الصناعيين كما تنص الماركسية الكلاسيكية، هم القوة الثورية الحقيقية في كمبوديا، وهي رؤية ستشكل لاحقاً سياساته الكارثية. في الغابة، تدرب المقاتلون على حرب العصابات، وتعلموا فنون البقاء، وطوروا شعوراً بالهوية الجماعية والولاء المطلق للقيادة وللثورة.

## الفصل الثامن عشر: تطوير الأيديولوجية الماوية الكمبودية

خلال سنواته في الغابة، كرس بول بوت جهداً فكرياً كبيراً لتطوير أيديولوجية تناسب الواقع الكمبودي، مستلهماً من تجربة ماو تسي تونغ في الصين لكن مع تعديلات جذرية. طور مفهوم سنة الصفر، الذي يدعو إلى محو كل ما هو قديم وبناء مجتمع جديد تماماً من الصفر، دون أي استمرارية مع الماضي. آمن بأن كمبوديا يمكنها القفز مباشرة إلى الشيوعية المتقدمة دون المرور بمراحل التنمية الرأسمالية، مستغلاً بساطة المجتمع الزراعي وغياب الطبقة العاملة الصناعية. رفض فكرة التخصص والتقسيم الطبقي للعمل، داعياً إلى مجتمع متساوٍ تماماً حيث يعمل الجميع في الزراعة ويشاركون كل شيء بالتساوي. رأى في المدن مراكز للفساد والاستغلال الغربي، وفي المثقفين والتجار والأجانب تهديداً لنقاء الثورة. هذه الأيديولوجية المتطرفة، التي جمعت بين اليوتوبيا

الشيوعية والقومية المتطرفة ورفض الحداثة، ستكون الأساس النظري لسياسات الإبادة التي سيطبقها لاحقاً، حيث سيبرر أي فظاعة باسم ضرورة بناء المجتمع الجديد.

## الفصل التاسع عشر: الاستفادة من الحرب الأمريكية في فيتنام

شكلت الحرب الأمريكية في فيتنام، التي امتدت آثارها إلى كمبوديا، فرصة تاريخية لبول بوت والخمير الحمر لتوسيع نفوذهم وتجنيد المزيد من المقاتلين. استغل بول بوت الغضب الشعبي الناتج عن القصف الأمريكي المكثف على المناطق الريفية الكمبودية، والذي أودى بحياة عشرات الآلاف من المدنيين ودمر القرى والحقول. طور خطاباً شعبوياً يصور الخمير الحمر كمدافعين عن السيادة الوطنية ضد العدوان الأجنبي، ويوحد بين معارضي الاستعمار القديم والجديد تحت راية واحدة. استفاد أيضاً من الدعم اللوجستي والتدريب الذي قدمته فيتنام الشمالية للحركات

الشيوعية في المنطقة، رغم أن العلاقة بين الحركتين ستتحول لاحقاً إلى عدااء مرير. مع تدهور الوضع الاقتصادي والأمني بسبب الحرب، بدأ المزيد من الكمبوديين، وخاصة الشباب الفلاحين الذين فقدوا أراضيهم أو أقاربهم، ينضمون إلى صفوف الخمير الحمر بحثاً عن الأمل والانتقام والتغيير. بحلول أوائل السبعينيات، كانت قوات بول بوت قد نمت بشكل ملحوظ، وأصبحت قادرة على شن هجمات منظمة ضد القوات الحكومية، مما مهد الطريق للصعود النهائي إلى السلطة.

## الفصل العشرون: توسيع نفوذ الخمير الحمر في المناطق الريفية

مع نمو قوتهم العسكرية والشعبية، بدأ الخمير الحمر في توسيع نفوذهم ليشمل مساحات أوسع من الريف الكمبودي، حيث أسسوا إدارات محلية موازية تطبق قوانينها وسياساتها. في المناطق التي يسيطرون عليها، ألغوا العملة والأسواق، وفرضوا نظام العمل

الجماعي، ومنعوا الممارسات الدينية، وعاقبوا أي مقاومة بقسوة. قدموا في البداية وعوداً بتحسين حياة الفلاحين من خلال توزيع الأراضي وإلغاء الديون، مما كسبهم تأييداً شعبياً في البداية. لكن سرعان ما ظهرت الوجه القمعي للنظام، حيث تم فرض حصص إنتاجية خيالية، وعوقب من يفشل في تحقيقها بالجلد أو السجن أو الإعدام. طور الخمير الأحمر أيضاً نظاماً للمراقبة الداخلية، حيث شجعوا السكان على الإبلاغ عن أي سلوك مشبوهِ، مما خلق جواً من الخوف وعدم الثقة. رغم ذلك، استمر تدفق المجندين الجدد، مدفوعين بالدعاية الفعالة، والخوف من الانتقام، والرغبة في الانتماء إلى القوة الصاعدة. بحلول عام ألف وتسعمائة وخمسة وسبعين، كان الخمير الأحمر يسيطرون على معظم الريف الكمبودي، وكانت العاصمة بنوم بنه معزولة ومحاصرة، على وشك السقوط.

الفصل الحادي والعشرون: التحالفات الإقليمية  
والتدخلات الخارجية

لم يكن صعود الخمير الأحمر حدثاً معزولاً، بل كان جزءاً من ديناميكيات إقليمية ودولية معقدة خلال الحرب الباردة. تلقى بول بوت ورفاقه دعماً متغيراً من قوى مختلفة، من الصين التي رأت فيهم حليفاً ضد النفوذ السوفييتي في فيتنام، إلى تايلاند التي سمحت باستخدام أراضيها كقواعد خلفية. في الوقت نفسه، واجهوا عداءً من فيتنام التي رأت فيهم تهديداً لمصالحها الإقليمية، ومن الاتحاد السوفييتي الذي دعم الحكومة الكمبودية الموالية له. استغل بول ببراعة هذه الانقسامات الدولية، مقدماً نفسه كقومي كمبودي مستقل يرفض الهيمنة الأجنبية بأشكالها كلها، مما كسبه تعاطفاً من بعض القوى الغربية التي رأت فيه حاجزاً ضد التوسع الفيتنامي. هذه التحالفات المتغيرة والمصالح المتعارضة سمحت لبول بوت بالاستمرار في بناء قوته رغم الفظائع التي كان يرتكبها، حيث كان المجتمع الدولي منقسماً ومتردداً في التدخل. هذه العزلة النسبية والغطاء الدولي غير المباشر سيكونان من العوامل التي سمحت للإبادة الجماعية بالاستمرار لأربع سنوات دون توقف فعال.

## الفصل الثاني والعشرون: تصاعد الحرب الأهلية وسقوط لون نول

في عام ألف وتسعمائة وسبعين، أطاح انقلاب عسكري بالأمير نورودوم سيهانوك، وأتى باللواء لون نول إلى السلطة، معلناً الجمهورية ومؤسساً نظاماً موالياً للغرب. أدى هذا التغيير إلى تصاعد الحرب الأهلية، حيث تحالف سيهانوك المخلوع مع الخمير الحمر ضد النظام الجديد، مما منح بول بوت شرعية إضافية ودفعة دعائية كبيرة. استغل بول بوت الفوضى الناجمة عن الصراع، والقصف الأمريكي المكثف الذي استهدف المناطق الريفية بحجة ضرب قواعد الفيتكونغ، لتوسيع نفوذه وتجنيد المزيد من المقاتلين. مع تدهور الاقتصاد وانهيار الخدمات الأساسية في المناطق الحكومية، بدأ سكان المدن والريف على حد سواء يفقدون الثقة في نظام لون نول، ويرى البعض في الخمير الحمر أملاً في إنهاء الحرب وإعادة الاستقرار. بحلول عام ألف وتسعمائة وخمسة وسبعين، كانت قوات بول بوت قد حاصرت بنوم بنه من جميع الجهات،

وكانت الحكومة تعاني من الانقسام الداخلي ونقص الإمدادات. في السابع عشر من أبريل من ذلك العام، دخلت قوات الخمير الحمر العاصمة دون مقاومة تذكر، معلنة نهاية الحرب وبداية حقبة جديدة ستكون من أكثر الفصول ظلمة في تاريخ كمبوديا.

## الفصل الثالث والعشرون: دخول بنوم بنه في السابع عشر من أبريل

في صباح السابع عشر من أبريل عام ألف وتسعمائة وخمسة وسبعين، دخلت قوات الخمير الحمر العاصمة بنوم بنه، حيث استقبلهم بعض السكان بالترحاب معتقدين أنهم جاءوا لإنهاء الحرب وإعادة السلام. لكن سرعان ما تبددت هذه الآمال عندما بدأ الجنود، ومعظمهم من الفلاحين الشباب الذين لم يروا مدينة من قبل، في فرض نظام صارم وغريب على السكان. تم إصدار أوامر فورية بإخلاء المدينة، بحجة أن الأمريكيين سيهاجمونها بالقنابل، وأن البقاء فيها يعني الموت. بدأ سكان بنوم بنه، الذين بلغ عددهم حوالي

مليونى نسمة، فى الخروج من منازلهم حاملين ما استطاعوا حمله، تحت أشعة الشمس الحارقة، دون ماء كافٍ أو طعام أو رعاية طبية. كان المشهد مأساويًا، من كبار السن والمرضى الذين لا يستطيعون المشى، إلى الأطفال الذين فقدوا أهلهم فى الزحام، إلى العائلات التى تفرقت فى الفوضى. مات الآلاف، فى الساعات والأيام الأولى من هذه الرحلة القسرية، لكن هذا كان مجرد مقدمة لما سيأتى، حيث كانت سياسة بول بوت تهدف إلى تفكيك المجتمع الحضري بالكامل وإعادة تشكيله حسب رؤيته الثورية.

## الفصل الرابع والعشرون: الإخلاء القسري للمدن وبداية المأساة

لم يكتفِ بول بوت بإخلاء بنوم بنه، بل أصدر أوامر مماثلة لجميع المدن والبلدات فى كمبوديا، بحجة إعادة بناء المجتمع على أسس زراعية بحتة والقضاء على الفوارق بين الريف والمدينة. تم إجبار ملايين الأشخاص على مغادرة منازلهم وأعمالهم

ومستشفياتهم ومدارسهم، والسير مئات الكيلومترات إلى الريف تحت إشراف حراس مسلحين لا يرحمون. تم فصل العائلات، حيث تم إرسال الأطفال والشباب إلى معسكرات عمل جماعية، بينما تم توزيع الكبار على القرى المختلفة للعمل في الحقول. تم مصادرة الممتلكات، وإلغاء العملة، ومنع التجارة الحرة، في محاولة لخلق مجتمع متساوٍ تماماً خالٍ من أي تمييز طبقي. لكن المساواة التي وعد بها بول بوت كانت مساواة في البؤس والمعاناة، حيث تم توزيع الجوع والعمل القسري على الجميع بالتساوي. كانت النتيجة المباشرة لهذه السياسات هي موت عشرات الآلاف في الأشهر الأولى، من الإرهاق والجوع والمرض والعنف، لكن النظام استمر في إنكار أي مشكلة، متهماً الضحايا بالتراخي أو التخريب أو التعاطف مع الأعداء.

الفصل الخامس والعشرون: إعلان كمبوتشيا الديمقراطية وسنة الصفر

في عام ألف وتسعمائة وستة وسبعين، أعلن بول بوت رسمياً عن تأسيس كمبوتشيا الديمقراطية، معتمداً تقويمياً جديداً يبدأ من سنة الصفر، رمزاً لبداية حقبة جديدة تماماً في تاريخ البشرية حسب رؤيته. تم إلغاء جميع المؤسسات التقليدية للدولة، من البرلمان إلى القضاء إلى الإدارة المحلية، واستبدالها بهياكل حزبية تسيطر عليها قيادة الخمير الحمر. تم إلغاء العملة الرسمية، وأغلقت الأسواق، ومنعت الملكية الخاصة، وأصبحت جميع وسائل الإنتاج مملوكة للدولة وتدار جماعياً. حتى الأسرة التقليدية تم تفكيكها، حيث تم فصل الأطفال عن والديهم وتربيتهم في معسكرات جماعية لضمان ولائهم للحزب أولاً وأخيراً، وليس لعائلاتهم أو تقاليدهم. أعلن بول بوت أن كمبوديا ستقفز مباشرة إلى الشيوعية المتقدمة، دون المرور بمراحل التنمية الرأسمالية أو الاشتراكية الانتقالية، مستغلاً بساطة المجتمع الزراعي. هذه الرؤية اليوتوبية المتطرفة، التي تجاهلت التعقيدات البشرية والاقتصادية والاجتماعية، كانت الأساس النظري لسياسات الإبادة التي ستودي بحياة ربع سكان البلاد في أقل من أربع سنوات.

## الفصل السادس والعشرون: إلغاء العملة والأسواق والملكية الخاصة

من أولى خطوات بول بوت بعد الاستيلاء على السلطة كانت إلغاء العملة الوطنية، وإغلاق الأسواق، ومنع أي شكل من أشكال التجارة الحرة، في محاولة لخلق اقتصاد مخطط مركزياً بالكامل. تم مصادرة جميع الممتلكات الخاصة، من الأراضي والمنازل إلى الأدوات الشخصية، وأصبحت جميعها ملكاً للدولة تدار من قبل لجان حزبية. تم توزيع الغذاء والسلع الأساسية عبر نظام حصص حكومي، كان في النظرية يضمن العدالة، لكن في الممارسة كان فاسداً وغير فعال، حيث كان المواليون للنظام يحصلون على حصص أفضل بينما يتضور المعارضون جوعاً. أدى إلغاء الأسواق إلى انهيار سلاسل التوريد، ونقص حاد في السلع الأساسية، وارتفاع الأسعار في السوق السوداء التي استمرت رغم الحظر. حاول النظام السيطرة على الوضع من خلال حملات قمع ضد التجار والمهربين، لكن النتيجة كانت مزيداً من النقص والمعاناة للسكان العاديين.

هذه السياسات الاقتصادية المتطرفة، التي تجاهلت الحوافز البشرية وتعقيدات التوزيع، كانت أحد الأسباب الرئيسية للمجاعة التي أودت بحياة مئات الآلاف.

## الفصل السابع والعشرون: تفكيك الأسرة التقليدية وتربية الأطفال جماعياً

في سعيه لخلق إنسان جديد مخلص للثورة، لم يكتفِ بول بوت بتفكيك المؤسسات الاقتصادية والسياسية، بل استهدف أيضاً الأسرة التقليدية التي رآها مصدراً للولاءات المنافسة للحزب. تم فصل الأطفال عن والديهم في سن مبكرة، وإرسالهم إلى معسكرات تربية جماعية، حيث يتم تلقينهم الأيديولوجيا الرسمية وتدريبهم على العمل والطاعة المطلقة. تم تعليم الأطفال أن الولاء للحزب يفوق أي رابطة عائلي أو إنساني، وشجعوا على الإبلاغ عن والديهم أو أقاربهم إذا شكوا في ولائهم للثورة. تم إلغاء الزواج التقليدي، واستبداله بزيجات جماعية ينظمها الحزب وفقاً لمعايير أيديولوجية وعملية، دون اعتبار للرغبة الشخصية أو

التوافق العاطفي. حتى العلاقات بين الأزواج خضعت للمراقبة، حيث تم تشجيع الإبلاغ عن أي حديث خاص أو سلوك يعتبر معادياً للثورة. هذه الحرب على الأسرة، التي تعد الوحدة الأساسية للمجتمع الإنساني، كانت محاولة جذرية لقطع الأفراد عن جذورهم العاطفية والروحية، وجعلهم يعتمدون كلياً على الحزب في هويتهم وقيمهم وولائهم.

## الفصل الثامن والعشرون: النظام الزراعي القسري والعمل من الفجر للغسق

في ظل نظام بول بوت، تم تحويل كمبوديا بأكملها إلى مزرعة جماعية ضخمة، حيث أُجبر السكان على العمل من الفجر حتى الغسق في حقول الأرز تحت إشراف حراس مسلحين لا يرحمون. تم تنظيم السكان في وحدات عمل جماعية، حيث يعمل الجميع معاً، رجالاً ونساءً وأطفالاً، في ظروف قاسية وبدون أدوات مناسبة أو تدريب كافٍ. تم تحديد حصص إنتاجية خيالية، غالباً ما تكون غير قابلة للتحقيق حتى في

الظروف المثالية، مما دفع القادة المحليين إلى استخدام الترهيب والعنف لضمان الامتثال. كان الطعام نادراً، حيث يتم تصدير معظم المحاصيل لتمويل شراء الأسلحة أو تخزينها احتياطياً، بينما يتضور السكان جوعاً. تم إلغاء فترات الراحة، ومنع الحديث أثناء العمل، ومعاقبة أي تقصير بالجلد أو الحرمان من الطعام أو الإعدام في الحالات المتطرفة. النتيجة كانت إرهاقاً جسدياً ونفسياً شديداً، وإنتاجية منخفضة رغم الجهد المبذول، ومجاعة واسعة النطاق أودت بحياة مئات الآلاف، لكن النظام استمر في إنكار أي مشكلة، متهماً الضحايا بالكسل أو التخريب أو التعاطف مع الأعداء.

## الفصل التاسع والعشرون: حصص الإنتاج المستحيلة والعقاب الجماعي

لم يكتفِ نظام بول بوت بفرض العمل القسري، بل طور نظاماً معقداً من الحوافز والعقوبات لضمان الامتثال لسياساته الزراعية المتطرفة. تم تحديد

حصص إنتاجية يومية وأسبوعية وشهرية لكل وحدة عمل، غالباً ما تكون مبنية على تقديرات غير واقعية لا تأخذ في الاعتبار الظروف المناخية أو جودة الأرض أو نقص الأدوات. عندما تفشل وحدة ما في تحقيق حصتها، يتم معاقبة جميع أعضائها بشكل جماعي، من خلال تقليل حصص الطعام، أو زيادة ساعات العمل، أو التعرض للجلد العلني، أو الإعدام في الحالات المتكررة. تم تشجيع القادة المحليين على التنافس في تحقيق الأهداف، مما دفعهم إلى المبالغة في التقارير واستخدام العنف لضمان النتائج. في الوقت نفسه، كان النظام المركزي ينكر وجود أي مشاكل، متهماً التقارير السلبية بالتشاؤم أو التخريب، ومعاقباً من يقدمها. هذا النظام من الضغط والعقاب الجماعي خلق حلقة مفرغة من الخوف والعنف والفسل، حيث كان الناس يعملون بجهد أكبر لكن ينتجون أقل، ويموتون بأعداد أكبر، بينما يستمر النظام في إنكار الواقع ومطاردة الأعداء الوهميين.

الفصل الثلاثون: المجاعة المصطنعة وموت مئات الآلاف  
جوعاً

إلى جانب الإعدامات المباشرة والعنف المنظم، كان الجوع سلاحاً آخر استخدمه نظام بول بوت لإبادة من اعتبرهم أعداءً أو عوائق أمام مشروعه الثوري. من خلال سياسات زراعية كارثية، ومصادرة المحاصيل، وإلغاء الأسواق، خلق النظام نقصاً مصطنعاً في الغذاء أدى إلى مجاعة واسعة النطاق. تم توزيع الطعام بشكل غير متساوٍ، حيث يحصل الموالون للنظام والقيادات الحزبية على حصص أفضل، بينما يُترك الآخرون ليموتوا جوعاً. كانت الأمراض الناتجة عن سوء التغذية، مثل البري بري والكواشيوركور والإسهال المائي، منتشرة بين السكان، خاصة الأطفال وكبار السن والحوامل. كان النظام ينكر وجود المجاعة، متهماً الضحايا بالكسل أو التخريب أو التعاطف مع الأعداء، مما منع وصول أي مساعدات إنسانية من الخارج. حتى عندما بدأت تقارير عن المجاعة تتسرب إلى العالم، رفض بول بوت السماح للمنظمات الدولية بالدخول، مصرّاً على أن كمبوديا قادرة على حل مشاكلها بنفسها. النتيجة كانت موت ما يقدر بمئات الآلاف بشكل بطيء ومؤلم، في صمت مخيم كسرته

فقط أنات الجوعى وصراخ الأطفال.

## الفصل الحادي والثلاثون: الحملة المنظمة ضد البوذية وإغلاق المعابد

من أولى خطوات بول بوت بعد الاستيلاء على السلطة كانت شن حملة منهجية وشاملة ضد البوذية، التي كانت الديانة السائدة في كمبوديا منذ قرون وتشكل جزءاً أساسياً من الهوية الثقافية للشعب. تم إغلاق آلاف المعابد البوذية في جميع أنحاء البلاد، وتحويل العديد منها إلى مخازن للحبوب أو اسطبلات للماشية أو ثكنات للجنود. تم نزع صفة الرهبنة عن عشرات الآلاف من الرهبان، وإجبارهم على خلع ثيابهم الصفراء والعمل في الحقول مثل عامة الناس، تحت طائلة الموت لمن يرفض. تم حظر الصلوات والطقوس البوذية، ومنع تلاوة النصوص المقدسة، ومصادرة التماثيل والكتب الدينية وحرقها في كثير من الأحيان. تم استهداف الرهبان الكبار والعلماء الدينيين بشكل خاص، حيث تم اعتقالهم وتعذيبهم وإعدامهم بتهم

الحفاظ على التقاليد الرجعية أو التعاطف مع الأعداء. كان بول بوت يرى في البوذية منافساً أيديولوجياً خطيراً، حيث تقدم وعوداً بالخلاص الروحي في الآخرة قد تقلل من حماس الناس للثورة في الدنيا، وتغرس قيماً مثل الرحمة والتسامح تتعارض مع منطق الصراع الطبقي. هذه الحرب على البوذية كانت جزءاً من محاولة شاملة لخلق إنسان جديد مخلص للحزب فقط، خالٍ من أي ولاءات روحية أو ثقافية سابقة.

## الفصل الثاني والثلاثون: اضطهاد الرهبان وإجبارهم على العمل القسري

لم يكتفِ نظام بول بوت بإغلاق المعابد، بل استهدف الرهبان البوذيين بشكل خاص بحملة اضطهاد وحشي تهدف إلى محو تأثيرهم الروحي والاجتماعي. تم تجريد الرهبان من ثيابهم المميزة، وحلق رؤوسهم قسراً، وإجبارهم على العمل في الحقول الجماعية تحت إشراف حراس لا يرحمون. تم فصل الرهبان عن مجتمعاتهم المحلية، حيث كانوا مصدر إرشاد روحي

ودعم اجتماعي، وإرسالهم إلى معسكرات عمل نائية حيث يموت الكثيرون من الإرهاق والجوع والمرض. تم استهداف الرهبان الكبار والعلماء الدينيين بشكل خاص، حيث تم اعتقالهم في سجن تول سلينغ وتعذيبهم لانتزاع اعترافات كاذبة بالتآمر ضد الثورة. حتى الرهبان الذين حاولوا التكيف مع النظام الجديد والعمل في الحقول لم يسلموا من الشك، حيث كان أي مظهر من مظاهر التدين، مثل الهمس بدعاء أو حمل تميمة، كافياً للاتهام والإعدام. كان الهدف النهائي هو محو البوذية كمؤسسة وكتقافة وكروح، وخلق فراغ روحي يملؤه الحزب وأيديولوجيته. هذه الحملة ضد الرهبان لم تكن مجرد اضطهاد ديني، بل كانت محاولة لقطع الشعب عن جذوره الروحية والثقافية، وجعله يعتمد كلياً على النظام الجديد في هويته وقيمه ومعنى حياته.

الفصل الثالث والثلاثون: الإبادة الممنهجة لأقلية الشام المسلمة

من أكثر الفصول ظلمة في نظام بول بوت كان استهدافه لأقلية الشام المسلمة في كمبوديا، التي كانت تعيش في البلاد منذ قرون وتتمتع بهوية ثقافية ودينية مميزة. تعرضت هذه الأقلية، التي يبلغ عددها حوالي مائتي ألف نسمة قبل تولي الخمير الحمر السلطة، لحملة إبادة ممنهجة تهدف إلى محو هويتهم الدينية والثقافية تماماً. تم حظر ممارسة الشعائر الإسلامية، من الصلاة والصوم والحج، ومنع تعليم اللغة العربية والقرآن، وإغلاق المساجد وتحويلها إلى حظائر للماشية. تم إجبار المسلمين على أكل لحم الخنزير وشرب الكحول كاختبار للولاء للنظام، تحت طائلة الموت لمن يرفض. تم استهداف القادة الدينيين والشيوخ والعلماء بشكل خاص، حيث تم اعتقالهم وتعذيبهم وإعدامهم بتهم الحفاظ على التقاليد الرجعية أو التعاطف مع الأعداء. تم تفكيك مجتمعات الشام التقليدية، حيث تم فصل العائلات وإرسال الأفراد إلى معسكرات عمل مختلفة لمنعهم من التنظيم أو المقاومة. تشير التقديرات إلى أن ما يصل إلى نصف أقلية الشام قد لقي مصرعه خلال سنوات حكم الخمير الحمر، في واحدة من أسوأ حالات الإبادة الثقافية والدينية في القرن العشرين.

## الفصل الرابع والثلاثون: استهداف الكمبوديين من أصل فيتنامي وصيني

لم يكتفِ نظام بول بوت باستهداف الأقليات الدينية، بل شمل اضطهاده أيضاً الأقليات العرقية، وخاصة الكمبوديين من أصل فيتنامي وصيني، الذين كانوا يعيشون في البلاد منذ أجيال. تم اتهام هؤلاء الأقليات بالتعاطف مع الأعداء الأجانب، حيث كانت فيتنام تعتبر تهديداً إقليمياً، والصين رغم دعمها للخمير الحمر كانت تثير شكوكاً بسبب نفوذها الاقتصادي. تم ترحيل آلاف العائلات من أصل فيتنامي إلى معسكرات عمل نائية، حيث مات الكثيرون من الجوع والمرض والعنف. تم استهداف التجار والحرفيين من أصل صيني، الذين لعبوا دوراً مهماً في الاقتصاد الكمبودي، بمصادرة ممتلكاتهم وإجبارهم على العمل في الحقول. تم حظر استخدام اللغات الأجنبية، من الفيتنامية والصينية إلى الفرنسية، في محاولة لخلق مجتمع متجانس لغوياً وثقافياً. حتى الكمبوديون الذين تزوجوا من أجانب أو

تعلموا في مدارس أجنبية أصبحوا تحت الشك، حيث كان أي اتصال بالعالم الخارجي يعتبر خيانة محتملة. هذه السياسات العنصرية لم تدمر فقط حياة الأفراد والعائلات، بل أضعفت أيضاً الاقتصاد الكمبودي من خلال طرد الكفاءات وتدمير شبكات التجارة والحرف.

## الفصل الخامس والثلاثون: حظر جميع الممارسات الدينية وحرق الكتب المقدسة

في سعيه لخلق مجتمع علماني متطرف خالٍ من أي تأثير ديني، لم يكتفِ بول بوت باستهداف البوذية والإسلام، بل شمل حظره جميع الممارسات الدينية في كمبوديا. تم إغلاق الكنائس المسيحية الصغيرة، ومنع التبشير أو ممارسة الشعائر المسيحية، واضطهاد المؤمنين الذين تمسكوا بإيمانهم سراً. تم حظر أي طقوس تقليدية أو شعبية لها جذور دينية، من الاحتفالات الموسمية إلى طقوس المرور مثل الولادة والزواج والموت. تم مصادرة الكتب المقدسة من جميع الأديان، من التوراة والإنجيل والقرآن إلى النصوص

البوذية، وحرق العديد منها في حملات علنية تهدف إلى رمزية محو الماضي. تم منع أي حديث عن الله أو الروح أو الآخرة، واستبدالها بخطاب مادي يركز على الصراع الطبقي والثورة والدولة. حتى الكلمات والتعبير الدينية في اللغة اليومية تم استبدالها بمصطلحات ثورية، في محاولة لقطع الصلة بين اللغة والهوية الروحية. هذه الحرب الشاملة على الدين، بكل أشكاله وتعبيراته، كانت محاولة جذرية لخلق إنسان جديد مخلص للحزب فقط، خالٍ من أي ولاء يتجاوز الحدود الزمانية والمكانية للثورة.

## الفصل السادس والثلاثون: إنشاء شبكة المراقبة والمخبرين في كل قرية

لضمان سيطرته المطلقة وقمع أي مقاومة محتملة، أنشأ بول بوت نظاماً شاملاً للمراقبة والإبلاغ الداخلي يشبه إلى حد كبير أنظمة البوليس السري في الأنظمة الشمولية الأخرى. تم تعيين مخبرين في كل قرية ومعسكر عمل، مهمتهم مراقبة السكان والإبلاغ

عن أي سلوك مشبوه أو كلام معادٍ للثورة، حتى لو صدر عن أفراد الأسرة الواحدة. تم تشجيع المواطنين، بل وإجبارهم في كثير من الأحيان، على الإبلاغ عن أقربائهم وجيرانهم وزملائهم، تحت تهام الاتهام بالتواطؤ إذا لم يفعلوا. تم إنشاء ملفات سرية عن آلاف الأشخاص، تسجل فيها أدق التفاصيل عن حياتهم وعلاقاتهم وآرائهم، لتستخدم لاحقاً في الاعتقال والتعذيب. كان مجرد الشك في ولاء شخص ما كافياً لاعتقاله وتعذيبه، دون حاجة إلى أدلة مادية أو محاكمة عادلة، حيث كان الاعتراف تحت التعذيب كافياً للإدانة. هذا النظام لم يضمن فقط قمع المعارضة الفعلية، بل شل أيضاً قدرة الناس على التنظيم أو المقاومة، حيث لم يعد بإمكانهم الوثوق حتى بأقرب الناس إليهم، وأصبح الخوف وعدم الثقة سمة يومية للحياة.

الفصل السابع والثلاثون: سجن تول سلينغ إس واحد وعشرون وجحيم التعذيب

في قلب نظام القمع الذي أقامه بول بوت، كان سجن

تول سلينغ، المعروف أيضاً باسم إس واحد وعشرون، يمثل رمزاً للرعب والوحشية التي وصل إليها النظام. كان هذا السجن في الأصل مدرسة ثانوية، تم تحويله في عام ألف وتسعمائة وخمسة وسبعين إلى مركز للتحقيق والتعذيب والإعدام، تحت إشراف كينغ دوكيف الذي أصبح لاحقاً أحد المدانين الرئيسيين في جرائم النظام. تم احتجاز ما يقدر بعشرين ألف شخص في هذا السجن خلال سنواته الأربع، من مثقفين وضباط عسكريين سابقين إلى فلاحين عاديين اتهموا بالخيانة، ومن أطفال لم يتجاوزوا العاشرة إلى كبار السن. خضع المعتقلون لأبشع أنواع التعذيب الجسدي والنفسي، من الضرب بالهراوات والأسلاك الكهربائية، إلى الغرق الوهمي، إلى حرمانهم من النوم والطعام، لانتزاع اعترافات، غالباً ما تكون كاذبة، بالتآمر ضد الثورة. تم توثيق العديد من هذه الفظائع في صور فوتوغرافية صادمة تظهر الضحايا وهم مكبلون ومعدبون، وهي صور أصبحت لاحقاً أدلة إدانة في المحاكم الدولية. من دخل هذا السجن، نادراً ما خرج منه حياً، حيث كانت الإعدامات تتم بشكل روتيني بعد انتهاء التحقيقات، وغالباً ما يتم نقل الضحايا إلى ميادين القتل للإعدام الجماعي.

## الفصل الثامن والثلاثون: طرق التعذيب الوحشية وانتزاع الاعترافات الكاذبة

في سجن تول سلينغ وغيره من مراكز الاعتقال، طور نظام بول بوت طرقاً متطورة من التعذيب تهدف ليس فقط إلى معاقبة الضحايا، بل أيضاً إلى كسر إرادتهم وانتزاع اعترافات كاذبة تبرر تطهيراً أوسع. من بين هذه الطرق، الضرب الممنهج بالهراوات والعصي المعدنية، الذي يترك كدمات وكسوراً دون قتل الضحية فوراً لتمديد المعاناة. استخدام الأسلاك الكهربائية في مناطق حساسة من الجسم، مما يسبب ألماً مبرحاً دون ترك علامات دائمة في كثير من الأحيان. الغرق الوهمي، حيث يتم غمر رأس الضحية في الماء مراراً حتى يختنق تقريباً، مما يسبب رعباً نفسياً شديداً. حرمان الضحايا من النوم لأيام متتالية، مما يؤدي إلى انهيار عقلي وجسدي. إجبار الضحايا على مشاهدة تعذيب أحبائهم، مما يسبب ألماً نفسياً يفوق الألم الجسدي. كل هذه الطرق كانت تهدف إلى انتزاع

اعترافات بأي تهمة يريدها المحققون، من التآمر مع الأجنبي إلى التخريب الاقتصادي إلى مجرد التفكير المعادي للثورة. هذه الاعترافات الكاذبة كانت تستخدم لاحقاً لتبرير إعدامات أوسع، وخلق جو من الرعب يمنع أي مقاومة.

## الفصل التاسع والثلاثون: ميادين القتل والإعدامات الجماعية في الريف

بعد استخراج الاعترافات في سجن تول سلينغ، كان يتم نقل الضحايا عادة إلى ما عرف بميادين القتل، وهي مواقع نائية في جميع أنحاء كمبوديا تم استخدامها للإعدامات الجماعية. كانت طرق الإعدام متنوعة ومروعة، من الضرب بالهراوات حتى الموت إلى الخنق بأكياس بلاستيكية، وذلك لتوفير الذخيرة التي كانت تعتبر ثمينة للنظام. في بعض الحالات، كان يتم إجبار الضحايا على حفر قبورهم الجماعية بأنفسهم قبل إعدامهم، في قسوة نفسية إضافية. بعد الإعدام، كانت الجثث تدفن في مقابر جماعية، غالباً ما تكون

ضحلة، مما أدى إلى ظهور رفات الضحايا في السنوات  
اللاحقة بعد سقوط النظام، شواهد صامتة على  
الفظائع. تشير التقديرات إلى أن مئات الآلاف من  
الأشخاص لقوا مصرعهم في هذه الميادين، حيث  
أصبح الصمت والرعب سمة مميزة للمناطق المحيطة  
بها. حتى اليوم، تظل هذه المواقع، مثل تشويونغ إيك  
بالقرب من بنوم بنه، أماكن للذكرى والحداد، حيث  
يزورها الناجون وأقارب الضحايا والسياح لتذكر المأساة  
والتعلم من دروسها.

## الفصل الأربعون: الخاتمة حين يتيه الإنسان عن نور السماء

ختاماً، تترك لنا ملحمة بول بوت المأساوية رسالة  
جلية لا تقبل الجدل: إن البشرية عندما تتخلى عن  
هداية السماء، وتستبدل شرع الله بنظريات بشرية  
تدعي الكمال، فإن النتيجة الحتمية هي الفوضى  
والدمار. لقد أثبت التاريخ أن الإلحاد السياسي، عندما  
يتحول إلى عقيدة دولة، لا يكتفي بإنكار الخالق، بل

يمحو الإنسانية من قلوب أتباعه، فيحولهم إلى جلادين لا يرحمون. إن ما فعله بول بوت باسم الطبقة والثورة لم يكن مجرد خطأ سياسي، بل كان تجسيدا لانفلات الوحش الكامن في النفس البشرية حين تفقد وازع الدين. إن الله العادل القهار هو الملاذ الوحيد للعدالة الحقيقية، والدين القويم هو البوصلة التي تحفظ للإنسان كرامته وتمنعه من أن يتحول إلى ذئب لأخيه الإنسان. فالحمد لله الذي جعل في الدين عصمة للدماء، وهداية للقلوب، وطريقاً قويمًا يسلكه من أراد النجاة في الدنيا والفوز في الآخرة. ولنتذكر دائماً أن التاريخ شاهد على أن الأمم التي تبتعد عن منهج ربها، لا بد أن تذوق مرارة الضياع، وأن النور الحقيقي لا يأتي إلا من عند الله، فمن اتبع هداه اهتدى، ومن أعرض عنه ضل وهوى. إن دروس كمبوديا ليست تاريخاً ماضياً، بل هي مرآة تعكس مصير أي مجتمع يغتر بقوته أو فكره، وينسى أن العدالة الحقيقية لا تتحقق إلا تحت مظلة شرع السماء، والرحمة لا تتبع إلا من قلب مؤمن بربه.

خاتمة الكتاب

بهذا نصل إلى نهاية رحلتنا في استكشاف حياة بول بوت وتأثير أيديولوجيته على البشرية. نأمل أن تكون هذه الصفحات قد قدمت فهماً أعمق للدروس المستفادة من هذه الفترة المظلمة، وأن تكون حافزاً للتفكير في أهمية التمسك بالقيم الإنسانية والدينية التي تحفظ كرامة الإنسان. إن العدالة الحقيقية لا تتحقق إلا تحت مظلة شرع السماء، والرحمة لا تنبع إلا من قلب مؤمن بربه. فليكن تاريخ كمبوديا تحت حكم الخمير الحمر عبرة لكل من يغتر بقوته أو فكره، وليكن نور الإيمان دليلاً لنا جميعاً في مسيرة الحياة. والله المستعان، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

تم بحمد الله وتوفيقه

د. محمد كمال عرفه الرخاوي

حقوق الملكية محفوظة للمؤلف